الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République algérienne démocratique et populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

جامعة 08 ماي 1945
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي
الرقم :

Université 8 mai 1945 Guelma
Faculté des lettres et des langues étrangères
Classe des langues et lettre arabe

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

(تخصص تحليل الخطاب)

رثاء الزوجة في الشعر العربي

(ديوان حصاد الدمع) لمحمد رجب البيومي

مقدمة من قبل

جغوط لمياء

تاريخ المناقشة جوان 2015

لجنة المناقشة

عبد المجيد بدراوي : رئيسا، أستاذ مساعد أ جامعة 08 ماي 1945 قالمة

وردة بويران : مقررا، أستاذ مساعد أ جامعة 08 ماي 1945 قالمة

سليمة العقوني : ممتحنا، أستاذ مساعد أ جامعة 08 ماي 1945 قالمة

السنة 2015

شكر و عرفان

أشكر الله، وأحمده لمنحي القوة، والعزم لأتم هذه الدراسة، وللأستاذة المشرفة كل التقدير، والشكر لتحليها بالصبر، والتروي، والتي قدمت لي يد المساعدة، و لم تبخل علي بالتوجيهات، والنصائح لجعل هذا العمل ثمرة طيبة، وأشكر كل من ساعدني من الأصدقاء، والأساتذة الكرام، ولا أنسى أفراد عائلتي دون استثناء، والحمد لله أولا وأخيرا.

المقدمة

المقدمة:

يعتبر الرثاء من أسمى أغراض الشعر العربي لما يحمله من مشاعر حزن، وألم لفقدان عزيز أو قريب، فالشاعر ينظم أبيات يعبر فيها عن شدة أساه وحزنه، وقد ظهر هذا الغرض في الشعر العربي منذ القدم، فرثى الشعراء إخوانهم، وأولادهم ورؤساء عشائرهم إلا أن الشاعر ابتعد كل البعد عن رثاء زوجته لما يمليه العرف، والقيم الاجتماعية فندر هذا النوع من الرثاء في العصور القديمة، وتدرج إلى أن وصل إلى ظهور دواوين كاملة تتحدث عن رثاء الزوجة، ومن بينها ديوان "حصاد الدمع" لمحمد رجب البيومي، وهو موضوع دراستنا، ويعود اختيارنا لهذا الموضوع لندرة التحدث عنه كغرض له مكانة في شعرنا العربي، فالدارسات في هذا الموضوع تعد على الأصابع إذ نجد الباحثين يتحدثون عنه بصفة عامة لكن اختصاصه برثاء الزوجة فنادرا ما يكون، وهذا ما دفعنا إلى البحث في هذا الموضوع، واختيارنا " حصاد الدمع " كنموذج نبرز من خلاله أهم الخصائص التي اختص بها غرض رثاء الزوجة، ولأن هذا الديوان يحمل معاني الإخلاص، والوفاء.

لنكشف فلوات النص، وموضوعه سطرنا لبحثنا خطة قد تفي بالغرض من الدراسة بيانها كالأتي مقدمة، ومدخل وفصلين يذيلهم خاتمة، وملحق أما المقدمة فعرضنا فيها أسباب اختيارنا الموضوع، والمنهج المتبع وكذلك الأهداف المرجو الوصول إليها من الدراسة، أما المدخل فتحدثنا فيه عن المنهج الموضوعاتي أولا آلياته، وثانيا طرائقه التحليلية أما الفصل الأول فعنوانه خصائص رثاء الزوجة في الشعر العربي قديما، وحديثا أولا خصائص رثاء الزوجة في الشعر العربي القديم، وثانيا خصائص رثاء الزوجة في الشعر العربي الحديث، وفي الفصل الثاني، وهو فصل تطبيقي فطرحنا فيه السؤال: ما هي خواص رثاء في الشعر المعاصر؟، وأجبنا عن هذا التساؤل تمهيدا لدراسة موضوعات ديوان "حصاد

الدمع"، وفي الخاتمة رصدنا أهم النتائج المتوصل إليها من هذه الدراسة أما الملحق فهو السيرة الذاتية للأديب، والشاعر محمد رجب البيومي .

نهدف من هذه الخطة إلى الإجابة عن الأسئلة المطروحة: ما هي المراحل التي مر بها غرض رثاء الزوجة حتى وصل إلى مرحلة ديوان مستقل؟، وبماذا تميز رثاء الزوجة في كل عصر من عصورا لأدبية؟، وكيف رثى محمد رجب البيومي زوجته؟، وما هي المواضيع التي عالجها في ديوانه حصاد الدمع؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة اتبعنا المنهج الموضوعاتي كطريقة لرصد أهم الموضوعات التي طرقها محمد رجب البيومي في ديوانه.

أما العراقيل التي واجهتنا أثناء الدراسة هي قلة المراجع التي تثري هذا الموضوع فلا يوجد مرجع واحد في مكتبة الجامعة تحدث عن رثاء الزوجة، وهذا ما صعب المهمة، ولكن استطعنا تذليلها، والحمد لله الذي أعاننا، والشكر، والعرفان لكل من مديد المساعدة لإنجاز هذا العمل خاصة الأستاذة المشرفة.

المدخل

المدخل: المنهج الموضوعاتي

أولا : آلياته (مقولاته) .

قبل التطرق لأهم مقولات المنهج الموضوعاتي فلنعرج إلى تعريف هذا المنهج حيث يرى عبد الكريم حسن أن المنهج الموضوعاتي بحث في الموضوع وهو بحث إلى اكتشاف السجل الكامل للموضوعات الشعرية [1] " إذن يهتم المنهج الموضوعاتي بظهور موضوع ما في العمل الإبداعي انه الموضوع الأكثر إلحاحا والذي ويترد في النص بنسبة عالية ، أما سعيد علوش فيري " إن المنهج الموضوعاتي بحث عن النقاط الأساسية التي يكون منها العمل الأدبي ومقاربة الكشف عن هذه النقاط الحساسة التي تجعلنا نلمس تحولاتها وندرك روابطها في انتقالها من مستوى تجربة معينة إلى أخرى شاسعة "[2] .

لقد تأثر النقد الموضوعاتي بجملة من الأعمال الفلسفية على رئسها أعمال غاستون باشلار Gastonbachelard وجون بول سارتر j.paulSartre وادمون هو سرl

غاستون ب اشلار : لقد كان للتحليل النفسي فضل كبير فقد علمنا أن عقولنا عوالم خاصة، وكل ما نستطيع أن نعلمه علما بقينا أن الكاتب ، كتب الكلمات التي نقرؤها لكن ما عناه من وراء هذه الكلمات شيئا آخر ، بعض الكتاب يحلمون بفك هذا العالم الخاص وأولى بنا أن نبحث عن بنية الإنسانأو الشجرة التي نبع منها كل واحد يلخص هذا القول ما ذهب إليه غاستون باشلار في البحث عما يسميه العالم البدئي هذا المفهوم الذي وظفه النقد.

الموضوعاتي ويعتبر غاستون باشلار في تصور الكثيرين الأب الروحي للنقد الموضوعاتي بما قدمه من رؤى ويعترف باشلار" بأنه ليس محلل نفسيا غير انه يستخدم أدوات التحليل النفس،

1- عبد الكريم حسن، المنهج ألموضوعاتي النظرية و التطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت، ط1، 1983، ص 120.

2- سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة و النشر و التوزيع، الرباط ط1، 1989، ص 12-13 .

ومقولاته ومفاهيمه على امتداد أعماله وإذا كان التحليل النفس الفرو يدي يتجه إلى منطقة اللاوعي للبحث عن الصور والرموز التي يحللها يتجه التحليل الباشلار إلى أعمق منطقة من مناطق الوعي، وفي المنطقة الأصلية منطقة الاحتكاك الابتدائي بالعالم "[1] ، إن لغاية من البحث عن العالم البدئي في الوصول إلى مصادر الإبداع وعناصره وبالتالي يبحث التحليل الباشلاري عن ألصورتي أصولها البشرية العامة فيراها ماثلة في العناصر الأربعة : الماء ، الهواء ، النار ، والتراب [2].

جان بول سارتر: إن للوجودية تأثير بالغ الأهمية على النقد الموضوعاتي إلى الحد الذي اعتبر بعض الدراسيين جان بول سارتر من النقاد الموضوعاتين وقد استمد النقد الموضوعاتي بعض المفاهيم الأساسية من الفلسفة الوجودية كمفهوم الوصف الذي يستطيع تحريض الفهم من الداخل بالإضافة إلى مفهوم الخيار البدئي الذي يقود إلى الموضوع الذي شكل هاجسا للمبدع الكاتب .

ادموند هو سرل : لعل أهم المفاهيم الظاهرية التي تبنها النقد الموضوعاتيي القصدية فكل وعي هو وعي بشيء ما، والوعي عند هوسرل هو وعي الذات بموضوعها، وتوجه الذات نحو الشيء الذي تريد أنتعيه هو ما نسبة بالقصدية[3]، هذا ويميز هوسرل بين نوعين من الأنا النفساني، والأنا المتسامي تقوم العلاقة بينهما على مبدأا لإبعادأو الاختزال ، يمكن مبدأ الاختزال من الوصول إلى الموضوع المهيمن، وهي نقطة بالغة الأهمية، وفي المنهج الموضوعاتي .

يتأسس النقد الموضوعاتي على جملة من الآليات يحددها عبد الكريم حسن في: الموضوع، المعنى، الحسية، العلاقة، التجانس، الدال والمدلول، شكل ،المضمون، النية، العمق، المشروع، المحالة ...

تظم هده المفاهيم بعض المفاهيم الإجرائية التي تمكننا من قراءة نص ما قراءة موضوعية، ولعل المفهوم الإجرائي المركزي هو مفهوم الموضوع الذي يشكل بؤرة تلتف حولها مجموعة من المفاهيم

1- عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعاتي، النظرية و التطبيق، م س، ص 19 .

2- عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعاتي، النظرية و التطبيق، م س، ص 19 .

محمد بلوحي، النقد الموضوعاتي الأسس و المفاهيم منتديات الدرر

3- http://www.dorarr.ws/forum.archive/index.php/t12535html.

الإجرائية " الموضوع وحدة من وحدات المعنى، وهو وحدة حسية علائقية أو زمنية مشهود لها بخصوصيتها عند كاتب ما، كما أنها مشهود لها بأنها تسمح انطلاقا منها، وبنوع من التوسع الشبكي أو الخيطي أو المنطقي أو الجدلي ببسط العالم الخاص لهذا الكاتب[1].

إن مفهوم الموضوع يستقطب مجموعة من المفاهيم الإجرائية التي تتيح مقاربة نص ما مقاربة موضوعاتي منها.

أ– المعنى: فالموضوع وحدة من وحدات المعنى

ب– الحسية: فالموضوع وحدة حسية.

ج– العلاقة الموضوع وحدة علائقية :فيتوسع بطريقة ما شبكية أو خيطية أن التوسع العلائقي يتم عن طريق مفهوم إجرائي أخر هو الاطرادية التي تعد المقياس في تحديد الموضوعات، فالموضوعات الكبرى لأي عمل أدب ما هي الموضوعات التي تشكل المعمارية غير المرئية لهذا العمل، ولذا فهي تزودنا بمفتاح تنظيمه، هذه الموضوعات في التي تطور على امتداد العمل الأدبي، وهي التي تقع عليها بغزارة استثنائية، " فالتكرار أينما كان دليل الهوس الموضوعات هي التي تطور على امتداد العمل الأدبي، وهي التي تقع عليها بغزارة استثنائية، فالتكرار أينما كان دليل الهوس"[2]، إذن الموضوع والتكرارية والعلاقات تمثل أهم المفاهيم الإجرائية تساعد على قراءة نص ما " .

ثانيا: طرائقها التحليلية:

تعتمد المقاربة الموضوعاتية باعتبارها منهجية نقدية جديدة ظهرت مع تباشير النقد الجديد على مجموعة من الركائز المنهجية، والمكونات الأساسية النظرية التي تتحكم في العمل الأدبي، ويمكن حصر هذه المكونات أو الطرائق في المبادئ التنظيمية التالية:

– قراءة النص قراءة شاعرية عميقة ومنفتحة.

– الانتقال من القراءة الصغرى إلى القراءة الكبرى.

1– عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي النظرية و التطبيق، م س، ص 39 .

2– عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي النظرية و التطبيق، م س، ص 41 .

- تحديد مكونات المناصية والمرجعية.

- التأرجح بين القراءة الذاتية، والقراءة الموضوعية.

- البحث عن التيمات الأساسية، والبنيات الدلالية المحورية، والموضوعات المتكررة، والصور المفصلة في النص الإبداعي.

- جرد هذه التيمات، والصور المتواترة في سياقها النصي، والذهني، والجمالي.

- تشغيل المستوى الدلالي عن طريق رصد الحقول الدلالية، وإحصاء الكلمات المعجمية، والمفردات المتواترة.

- توسيع الشبكة الدلالية لهذا التيمات المرصودة دلاليا فهما، وتفسيرا.

- رصد الأفعال المحركة والمولدة للمعاني في سياقاتها الصوتية، والإيقاعية، والصرفية، والتركيبية، والتداولية مع دراسة دلالاتها الحرفية، والمجازية، واستنطاقها، وتأويلا.

- الانتقال من الداخل النص إلى التأويل الخارجي، والعكس صحيح أيضا.

- دراسة الموضوع المعطى من اجل البلوغ إلى الجانب الحسي في الأثر الأدبي أو الوصول إلى البنية الموضوعاتية المهيمنة للعمل الإبداعي.

- حصر العناصر التي تم حصرها ورصدها اطرادا، وتواترا إلى الاهتمام بالمعنى السياقي.

- المقارنة بين الظواهر الدلالية، والمعجمية، والبلاغية تألفا، واختلافا.

- تجنب التزيد في التحليل الموضوعاتي، واللجوء إلى الإسقاط ألقسري، والمتعسف، وعدم تقويل النص ما لم يقله.

- جمع النتائج التيتم تحليلها لقراءتها تفسيرا، وتأويلا، واستنتاجا.

- بناء قالب نموذجي مجرد يستطيع أن يستوعب داخله تفاصيل العمل الأدبي المدروس.

- ربط الدلالات الواعية، وغير الواعية بصورة المبدع الذاتية.

و تنطلق الموضوعاتية في تعاملها المنهجي من التطابق، والتماثل بين المعنى الواضح، والمعنى العميق الضمني غير المباشر فهما، وتفسيرا " من خلال ربط الداخل بالخارج، والوعي، واللاوعي في

علاقتهما بما قبل الوعي، فأما المعنى الواضح، وهو ما يقدمه النص، وهامشه على حد تعبير علم الظواهر، وبين مستويين الواضح، والضمني لا يوجد انقطاع، وهذا الشعور بعد وجود الانقطاع هو العامل المحرك للنشوة الموضوعية، فالتزحلق من المباشر إلى الضمني، من المقول إلى اللامقول هو تزحلق بلا فجوات"[1].

والمقصود بهذا أن المنهج الموضوعاتي يعتمد على خطوتين أساسيتين هما:

الفهم الداخلي للنص المقروء عن طريق كشف بنية المهيمنة الدالة معجميا، وتركيبيا، ولسانيا، وشاعريا، وتأويله خارجيا اعتمادا على مستويات معرفية مرجعية مساعدة من خلال إضاءة الفكرة المحورية، وتفسيرها، وقد اعتمد عبد الكريم حسن في دراساته المضوعاتية للشعر العربي على ثلاث مبادئ فوصفها بـ " مجموعة المفردات التي تنتمي إلى عائلة لغوية واحدة، وهي تقوم على ثلاثة مبادئ المبدأ الأول يتمثل في الاشتقاق، والمبدأ الثاني يتمثل في الترادف، أما المبدأ الثالث فيتمثل في القرابة المعنوية فالعائلة اللغوية تجمع في داخلها مفردات ذات الجذر اللغوي الواحد، والمترادفات، والمفردات التي ترتبط مع بعضها بصلة معنوية اضعف من صلة الترادف، وهكذا يصبح الموضوع الرئيسي هو الموضوع الذي تتردد مفردات عائلته اللغوية بشكل يفوق مفردات العائلات اللغوية الأخرى، وهو الذي يفرز بقية الموضوعات، ويولدها بشكل آلي"[2]، وأن اعتماد المنهج الموضوعي في قراءة النصوص وفقه لا تنص على قراءات أخرى بل أن هذه القراءة تكشف أكثر من غيرها عن الجوانب الخفية للموضوع، وذلك لطبيعة الموضوع الذي يتطلب هذا المنهج من القراءة، وهذا لا يعني إننا نقوم بقراءة لا تسهم في إنتاج المقروء فالقراءات كلها تسهم في فك الاشتباك القائم في النص فالقراءة في الحقيقة

1-عبد الكريم حسن، نقد المنهج الموضوعي، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت لبنان، العددان 44-45، ص 39-40.دت .

2- عبد الكريم حسن، الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السياب، ط1، المؤسسة الجامعية بيروت، 1983 ص 32-34.

لا تعمل في ضيفاتها بعدا واحدا أو ما يسمى بالقراءة الاستنساخية " فالاحتمالات الموجودة في النص، والتي يضاف إليها احتمالات جديدة تخص القارئ"[1] .

1- مصطفي بيومي، دوائر الاختلاف، قراءات التراث النقدي، د ط، دار فرحة للنشر و التوزيع، مصر 1981 ص 33 .

الفصل الأول

الفصل الأول: خصائص رثاء الزوجة في الشعر العربي قديما وحديثا

أولا: خصائص رثاء الزوجة في الشعر العربي القديم:

إن موقف العربي من المرأة عامة منذ العصر الجاهلي موقف معروف لقد كان شديد الغيرة حتى انه ليأنف أن يذكر اسم زوجته للآخرين، ويعتبر ذكرها أماما لآخرين امرأ محظورا لا وبل من المحرمات، واستمر هذا الموقف عند عامة الشعوب العربية حتى وقت قريب من يومنا هذا، وعند موت الزوجة حرص العرب على عدم إظهار الحزن على الزوجة، واعتبروه نوعا من الضعف، ولهذا أيضا انصرفوا عن رثائها، وإظهار الحزن، والأسى عليها، وهذا كان نتيجة الأعراف، والعادات التي كانت سائدة .

وأما ما قيل في رثاء الزوجة فهو قليل جدا إلى حد الندرة ففي العصر الجاهلي نجد قول عمرو بن قيس بن مسعود المرار، الذي خاطب سعيدة أخت زوجته أو ابنتها فقال:[1]

سُعَيدُ قُومي عَلَى سُعدى فَبكِيهَا فلسْتِ محصيةً كلَّ الّذي فيهَا

في مأْتمٍ كظباءِ الرَّوض قد قرحتْ منَ البكاءِ على سُعدى مأَقِهَا

و لم ترث المرأة في هذا العصر كثيرا على نحو رثاء الرجال أو حتى الأبناء ، ومرد ذلك هو العرف السائد في كون الرجل صبورا قليل الجزع ، أما في العصر الإسلامي، فقد قل الرثاء بشكل ملحوظ في هذا العصر لتشبع النفوس بالقيم الدينية، والصبر على القضاء، والقدر إلا أنه لم ينتف رثاء الزوجة في هذا العصر على نحو خالص فلا بد من صرخة تعلو في الأفق لموت زوجة، وممن رثى زوجته النمر بن تولب[2]، إلا انه لا يمكن النظر إلى أبيات قليلة قيلت في رثاء الزوجة على أنها اتجاه عام بل هي حالة خاصة لم تتبلور لتشكل حركة توحي بالتطور في رثاء الزوجة .

---

1 - الجبور يحي، الشعر الجاهلي خصائصه و فنونه، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، د ت، 327 .

2- الاسعد عمر، ديوان رثاء الأزواج، ط1، بيروت، دار سبيل الرشد، دت، ص 13.

و يمثل العصر الأموي امتدادا للعصر الإسلامي الذي لم يظهر فيه اتجاه يرثى المرأة، وبناء على ذلك فرثاء الزوجة في هذا العصر أيضا بقي خجولا ،و يعتبر الشاعر الأموي جرير(33-114هـ) في طليعة الشعراء الذين كسروا حاجز الاعتقاد الذي بنته عوامل البيئة، والعصر والعادات والذي يعيب على الرجل رثاء زوجته، والبكاء عليها، وهو الأمر الذي لم يألفه العصر الأموي من قبل، ولا العصور التي سبقته، فقلب جرير بذلك نمطا من أنماط العادات، وغرضا من أغراض الشعر التي سار عليها ركب السابقين له، والمعاصرين ،و وجدوا انه سن سنة سيئة، وتعد مرثاة جرير في زوجته خالدة من أقدم المراثي الزوجية إذ لم يتطرق احد من قبل إلى ذلك البكاء الشعري الحزين لجرير في زوجته لو لا حبه الكبير لها، وشغفه بها، وشدة لوعته لفقدانها، ولكنه، وهو يسعى إلى أكثر من الاستعبار الذي كان في نفسه لها كان يريد إلى ما قبل ذلك متأملا ما للقوم من عادات تعودها، وتقاليد جبل عيها لذلك فهو حينما بدا قصيدته الرائية لم يجد إلا أن يعبر عن ما للعصر الذي هو فيه من اعتقاد، ويوضح ذلك من أن البكاء على النساء (عيب) على الرجل، وأن رثاءهن ذنب لا يغتفر، فبدأها بتفسير الموقف الاجتماعي، وإظهاره للعيان، وباعتذار ضمني لكن حسرته كانت، واضحة لذا قدم القصيدة بجميل الاعتذار فها هو يحبس دموعه خجلا بحسب اعتذار يقول فيه:[1].

لوْلاَ الحَياءُ لهَاجَنِي اسْتِعبارُ ولَزُرتُ قبركِ والحبيبُ يزارُ

فهو يعترف بالحق الكامل للزوجة، ويسجل لوعته بهدوء عجيب، وخجل شديد، وكأنه يقول ذلك، وهو يطاطأ رأسه، ويطلق حسرة تشق القلب، فقد أوقفه حاجز الحياء على مشارف تأملات طويلة غذتها لوعته على فقدان زوجته الحبيبة، وأما أبنائه الثلاثة (حرزه، حكيم، وبلال) ذلك الحياء الذي فرضه عليه النظام القبلي مما جعل نقيضه الفرزدق يستغل تلك الالتفاتة من جرير ليهاجمه من خلالها لأن الأمر عند جرير مختلف عنه عند الفرزدق الذي ينظر إلى النساء نظرة ازدراء ، وتحقير وإن من حق جرير أن يستعبر، وأن يبكي زوجته، ويصوغ الكلمات رثاء لها وجد ذلك من حقه، وإذا كان

---

1 - البحتري، أبو عبادة الوليدين عبيدالطائي، ديوان البحتري، ط3، دار المعارف، مصر، د ت، ص 119 .

يعي ما معنى ذلك لاسيما أنه كان كبير السن هرما لأن الأمر الأقصى هو فقدان الرفيق، والعشير لأن فقدانه على الأقل هو إيذان بشيء مشابه، وشعور بقرب الأجل على اقل قدر قد تفرضه الحالة النفسية، والشيء الآخر أن زوجته تركت له أبناء رغب الحوامل حرموا من حنان الأمومة، والرعاية ،و هو كذلك بحاجة لها، ويتجلى ذلك في قوله:[1].

ولَّهْتَ قلبيَ إذْ علَتْني كبرةٌ وذَوو التّمائمِ منْ بَنيكِ صغارُ

إن الحياء الذي تولى جرير، وعظم أمره، وهو أمام حالة إنسانية فريدة تمثلت في موت الحبيبة بما تحمله هذه الكلمة من معاني، فمنع نفسه من البكاء على رفيقته حال بينه، وبين زيارتها (وهي ثاوية في قبرها)، وهي الحبيبة التي لابد أن تزار، وأن تسكب عندها العبرات، وان كانت ميتة لان الوفاء مدعاة لذلك، لكن الحياء الذي فرضته العوامل الاجتماعية كبح جرير ما في عينيه من الاسترسال بذرف الدمع، وغل أقدامه فمنعه من عبور الحاجز الوهمي لزيارتها، ومن هنا كانت قصيدته الرائية هذه لتكسر ما هو متعارف عليه، وبذر بذرة أينعت فيها بعده، وصارت شجرة كان له فيها نصيب السبق، لقد وصف جرير زوجته بأحسن الأوصاف، وخصها بأفضل الخصال وأغدق عليها من المشاعر، والأحاسيس ما يصور حزنه، ولوعته حيث يقول:[2].

نعم القرينُ وكنتِ عِلْقَ مَضَنَّةٍ وأرى بنعفِ بُلَيَّة الأحجارُ

ولقدْ أراكِ كُسيتِ أجملَ منظرٍ ومع الجمالِ سَكينةٌ ووقارُ

وأخيرا تظل مرثاة جرير هذه من أروع المراثي الزوجية ففيها تصوير صادق للموقف الاجتماعي، والموقف النفسي، الذي عناهما، وقدم من خلالها حالة الأسى التي اكتنفت مشاعره،

1- البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي، ديوان البحتري . م ن ،ص 119.

2- البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي، ديوان البحتري م س، ص 119 .

وصورت أحاسيسه الجياشة الصادقة، وعلى الرغم من ذلك بقي رثاء المرأة قليلا إلى حد الندرة، وبقي من المحظورات الشعرية، وخير دليل على ذلك أن الفرزدق عير جرير برثاء زوجته فقال: [1].

إنّ الزيارةَ فِي الحَياةِ ولا أَرَى ميتاً إذاَ دَخلَ القُبورَ يُزارُ

ورَثَيْتَها وفَضحْتهَا فِي قبرِها ماَ مِثلُ ذلكَ تفعلُ الأخيارُ

و لعل الفرزدق في هذا يعبر عن نظرة المجتمع لرثاء المرأة حتى، وأن تقدم زمنيا، وحضاريا إلا أن تلك النظرة لرثاء المرأة لم يطلها حظ من هذا التطور، وكان جرير من الشعراء السابقين الذين رثو زوجاتهم، ولعله أجرأ من فعل ذلك، فلم يكن رثاء الزوجة أمر يقبل عليه الشعراء، ولعل سبب ذلك تلك الخصوصية الشديدة بين الرجل، وزوجته.

و احتل الرثاء مكانة هامة في العصر العباسي لكن رثاء الرجال فقط الذين دافعوا عن المبادئ، وعن القيم والانتماءات المذهبية فاعتبروا رموزا لتضحية، والبسالة، وكانت خسارتهم تثير الفجيعة، والحسرة أما بالنسبة لرثاء المرأة بشكل عام فلم يعن الشعراء به، وفهي لا تنازل بالسيف ولا تذود عن الحمى، وعلى ذلك فالبحتري يستنكر بكاء الأهل عليهن، ويعد ذلك من الضعف والعجز في تعزية ابن نهشل في ابنته [2].

وسِفاهٌ أنْ يَجْزَعَ المرءُ مِمَ كان حتمًا على العبَادِ قضاءُ

أ تُبْكَى منْ لا يُنازلُ بالسَّيـ فِ مشَّيحًا ولا يهُزُّ الّلواءَ

لسن من زينة الحياة كعد الـ له منها الأموال والأبناء

قدْ ولدنَ الأعْداَء قِدمًا وورَّثن التِّلادَ الأقاصِيَ البُعداءَ

ولعَمرِي ماَ العَجزُ عنديَ إلاَّ أنْ تبيتَ الرجالُ تبكي النساءَ

1- الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة، ديوان الفرزدق، د ط ،ج1، دار صادر، بيروت، دت، ص 375 .

2- البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبد الطائي، ديوان البحتري، م س، ص 39 .

و في البيت الأخير إشارة واضحة إلى أن هناك من الشعراء من رثى المرأة فعاب بيه رجال عصره، وهذا رد صريح على عدم كون رثاء الزوجة تيارا شعريا مستقلا، وهذا ما كشفته الأبيات من مكانة المرأة زوجة أو ابنه أو أختا، فهذه الأبيات تعبر عن السياق الاجتماعي فهذه النظرة وليدة اجتماعية تراكمت جيلا وراء جيل، وعلى ذلك فليس امرأ غريبا أن يقل [1]رثاء المرأة في هذا العصر، وحتى وإن كان هذا العصر هو العصر الذهبي الذي وصف بالتحرر، والانفتاح، وممن رثى زوجته في هذا العصر هو مسلم بن الوليد الأنصاري (14-208 هـ) جاء بغداد في أيام الرشيد قبل نكبة البرامكة، وشعره حسن النظم سليم الشعر متين السبك صحيح المعنى كان متفننا متصرفا في فنون الشعر مدحا، ورثاء وهجاء، وغزلا ونسبيا [2] .

وقد كان مسلم بن الوليد ممن رثى زوجته في أبيات تضج بالحزن، والأسى، وأعلن فيها انقطاعه عن الخمر، والنأي عن الملذات التي طالما صرفته عن جادة الحق حيث يقول في مطلع قصيدته:

بكاءٌ وكأسٌ كيْف يتفقَانِ سبَيلهُما في القلبِ مُختلِفانِ

دعَاني وإفراطُ البُكاءِ فإنَّني أرَى اليَومَ فِيهِ غيرَ ما تَريَانِ

وكان عدد أبيات هذه القصيدة قصيرا، إلا أنها كانت تعبر عن عاطفة صادقة أدت إلى هجرة الشاعر للخمر، وللهو، مما يوحي بقوة صدمة فقدان الخليلة فناء عن الملذات، وتفرغ إلى التنسك وهذا دليل على العلاقة الوشيجة التي كانت تربطه بزوجته، فقد عبر عن ضعفه، واستسلامه بعد أن فارقت الحياة فقد كانت مصدر قوته، ويظهر ذلك من خلال قوله:

وكيفَ بدَفعِ اليأْسِ والوجْدِ بعدَها وسهْماهُما في القلبِ يعْتلِجانِ؟

1- فروخ عمر، تاريخ الأدب العربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص 177 .

2- الأنصاري، مسلم بن الوليد، شرح ديوان صريح الغواني، تحقيق سامي الدهان، ط2، دار المعارف، مصر، 1970. ص 341 .

فالشاعر يبكي بكاء مريرا حتى نفاد الدموع من مقلته ويظهر هدا البيت تطورا ملحوظا حيث نجد أن الجرير رغم حزنه الشديد لفقدان زوجته إلا انه ترفع عن البكاء الا أن مسلما أعلن بكاءه بل جعله أيقونة حزنه على زوجته من خلا قوله

فلا وَجْدَ حتَّى تنزف العين ماءها وتعترفَ الأحْشَاءُ بالخَفقَانِ

و نلاحظ في أبيات مرثية مسلم بن الوليد غياب المحسنات البديعية التي كانت سمة شعره، وهذا دليل على فطرية العاطفة، وصدقها، فغاب ذلك التصنع، والزخرف اللفظي، وما يلاحظ أن رغم الحزن الكبير، والمصاب الجلل إلا أننا نجد أبيات القصيدة قليلة بالمقارنة بما يحمله الموضوع، فقدان الزوجة- من عواطف ومشاعر جياشة [1]، ويجب أن نلفت نظركم أن مسلم بن الوليد لم يكن الوحيد الذي قدم مرثية لزوجته الراحلة في العصر الذهبي، ونحن نجد أبولحية النمرية، ومحمد بن الملك الزيات، وابن الرومي، شعراء رثوا زوجاتهم مما يوحي أن هناك بروزا طفيفا، وارتقاء قليلا حدث على رثاء الزوجة، حيث أدرج كل واحد منهم قصيدة في رثاء زوجته، وهذا تطور ملحوظ لأنه في العصر الأموي كما سبق ذكره وجدنا أن الجرير أدرج رثاءه في معرض هجائه للفرزدق، وعلى الرغم من ذلك لا يمكن القول بان رثاء المرأة في العصر العباسي، وصل إلى المستوى المطلوب من حيث العدد، والكم، بل بقي غرضا يتوجس الشاعر عند نظمه، وكأنه يطرق بابه في خجل، واستحياء، على الرغم من الألم، والحزن اللذان يعتصران قلبه، وهذا راجع للقيود الاجتماعية المهيمنة؛ والعصر العباسي رغم أنه العصر الذهبي إلا أنه لم يزل في بوتقة السلطة الاجتماعية، والأعراف التي تحرص على جعل علاقة الرجل بزوجته في الظل لا يجب التحدث على أية مشاعر خاصة بعد موتها، ولعل رثاء المرأة اصدق تعبيرا عن القيمة الإنسانية لها، لكن في الشعر الأندلسي رثاء المرأة احتل مساحة شاسعة فيه، فقد بكى الشعراء الأندلسيون زوجاتهم، وذرفوا عليهن الدموع، وارتفعت أصواتهم وراءهن مضخمة

1- الانصاري، مسلم بن الوليد، شرح ديوان صريع الغواني، م س، ص 341 .

بالآهات الحزينة، والزفرات الحارة، ولعل رثاء المرأة من اشد أنواع الرثاء صعوبة، وهذا ما أشار إليه ابن رشيق بقوله :

" ومن اشد أنواع الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثى طفلا أو امرأة لضيق الكلام عليه فيها، وقلة الصفات " [1].

كان الشعراء لأندلسيون ينظمون شعرا في رثائها، والبكاء على فراقها فكان شعرهم مفحما بالصدق، والعاطفة الجياشة، وخير من يمثل رثاء الزوجة ثلاثة شعراء أولهم أبو إسحاق الالبيري- هو أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعيد ألنجيبي الغرناطي الالبيري توفي سنة (460هـ) بقصيدته الرائية التي يعبر فيها عن لوعته، وحزنه لفراق زوجته، ويصفها بالتقي طهارة العرض، وأصالة العرق، وكرم المعشر يقول : [2]

عُجَ بالمِطي على اليُبابِ الغَامِرِ أربَع على قَبرٍ تضَمَّن نَاظرِي

فَلكَمْ تضَمَّنَ من تقىً وتعففٍ وكَرِيمِ أعراقٍ وعِرضٍ طاهِرٍ

وأقرَء السَّلَام عليه من ذِي لوعةٍ صدعَته صدعًا ما لَهُ جَابرِ

إنْ كَانَ يدثِرُ جِسمَه في رَمْسهِ فهوَايَ فيْه الدهْرَ ليْسَ بدَاثرٍ

قطَعَ الزَّمان مَعِي بأَكرَم عِشرَةً لَهفِي عَليهِ مِن أبرِّ المعاشِرِ

ومن الشعراء الذين رثوا زوجاتهم، ومعشوقا تهم، ابن حمديس، الأعمى التطليلي، ابن الزقاق البلنسي، أبو بكر عبد العزيز بن سعيد بن القبطرنة، أبو عامر، وابن الحداد، وماذا ننتظر من شاعرا

1- القيراوني، أبو على الحسن الأزدي، العدد في محاسن الشعر و آدابه و نقده تحقيق محي الدين عبد الحميد ط2، دار الجبل، بيروت،1981ص154 .

2- صوة المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف و المرابطين، أحمد عمران، محمد أبو خليل، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور ب باكسان، العدد 10، 2011، ص 182 .

فقده أمها وزوجته أو أختها وابنته غير أن يصرخ، وينتحب، ويصاب بالذهول، وينظم شعر حزينا موجعا.

و تتجلى أهمية المرأة—كزوجة- في أبهى صورها، وتشكل نصيب الأسد في الصورة الكلية للمرأة الأندلسية إذ كانت العلاقة بين الرجل، والمرأة علاقة تلاحم، ووئام، ولعل لحظات الوداع، وما تحمل في ثناياها من صور المودة بين الزوجين، وحرص الزوجة على تفكير زوجها لضرورة التماسك برباط المحبة، والحفاظ على عهود الزوجية بينهما، كل ذلك يؤكد أهمية، وقيمة المرأة في الشعر، وهو ما صوره ابن دراج القسطلي في هذه الأبيات :

ولمَّا تدَانتْ للوَداعِ وقَدْ هَفَا صَبرِي مِنها أُنَّةٌ وزَفيرُ

تُنَادُني عهَد المودَّةِ والهَوى وفِي المِهد مَبْغوم النِّداءِ صَغيرُ

عَصَيْتُ شفِيعَ النَّفسِ فيهِ وقَادَنِي ورَاحٌ لتدأب السُّرى وبِكوّرُ[1].

وعلي أية حال إذا ما قارن الرثاء في هذا العصر بسابقه من العصور يلحظ إن حالة من التمرد قد لاحت في الأفق لتمرد، وكسر الحواجز الاجتماعية التي كبلت عواطف الشاعر.

وآخر ما لاحظناه في العصور السابق ذكرها أن رثاء المرأة كان قليل إذا ما قيس برثاء الأبناء أو الوجهاء، مثلا فلم تحظ بحظ وافرا في الشعر العربي، وكذلك يجب الإقرار بان رثاء المرأة شهد تطورا على الصعيدين النوعي، والكمي في العصر الأندلسي، وهو من العصور المتأخرة.

ثانيا: خصائص رثاء الزوجة في الشعر العربي الحديث:

استمر رثاء الزوجة عبر العصور الأدبية فبدا بالندرة ثم انتقل إلى القلة **أما** في العصر الحديث فتطور هذا اللون الشعري ليكون اتجاها شعريا، فأصبح الشعراء يكتبون قصائد طويلة في رثاء زوجاتهم يعبرون فيها عن مكنوناتهم، ومشاعر الألم، والحسرة، ومن ابرز الذين رثوا زوجاتهم في العصر الحديث محمود سامي البارودي، فتعتبر قصيدته التي رثى فيها زوجته أطول قصيدة رثيت بها امرأة في الأدب

1- صورة المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف و المرابطين، م س، ص 183 .

فقد بلغ عدد أبياتها سبعة وستون بيتا، ولم تمتز هذه القصيدة بالطول فقط بل بالكم الهائل من مشاعر الحزن، والأسى التي حملها الشاعر بين جنابته اثر وفاة زوجته، وهو في سرنديب موطن منفاه، وهو الذي كان يظن أنها أول من ستلقاه حين رجوعه إلى مصر وطنه فهذه الفجيعة ألمت محمود سامي البارودي، وأسالت حبره ليكتب قصيدته التي لم يسبقه إليها أحد، وقد ضمن الشاعر مرثيته أفكار تدور حول فكرة واحدة، وأساسية، وهي رثاء الزوجة التي منعته من مقاومة هذا المصاب فيقول [1] :

أَيَدَ المَنونِ قدحتِ أيَّ زِنادٍ وأَطَرتِ أيَّةَ شُعلةٍ بفؤَادِي

أوْهَنْتِ عزْمي وهو حملةُ فيْلقٍ وحَطمْتِ عوْدِي وَهُو رُمحُ طِرادِ

لم أدْرِ هلْ خَطبٌ ألمَّ بسَاحَتي فأنَاخَ أمْ سقْمٌ أصابَ سوَادِي؟

أَقذَى العيونَ فأَسْبلَتْ بمدَامعٍ تَجرِي على الخدَين كالفِرصَادِ

و يظهر التجديد في رثاء الزوجة في أن الشاعر لم يعد يخفي مشاعره، ولا يقتصد في التعبير عن حزنه، وضعفه بل أصبح يترك العنان لأبيات قصيدته لتبوح بمدى تفجع الشاعر اثر فقدان الحبيبة، والرفيقة فيقول : [2]

يَا دهرُ فيمَ فجعْتَني بِحليْلَةٍ كانَتْ خلاصةَ عدَّتي وعتَادِي؟

ونجد الشاعر في العصر الحديث يذكر معاناته بأدق التفاصيل حتى معاناته كأب مسؤول عن أسرته فالشاعر أصبح يصف أولاده، وهم يتامى محرومين من حنان الأم التي خطفتها أيدي المنية، وأطفأت نورها الذي كان يضيء طريقهم فيقول محمود سامي البارودي: [3]

1- محمود سامي البارودي، ديوان رئيس الوزراء، محمود سامي البارودي على المقصود عبد الرحيم، ط1، بيروت، لبنان، دار الجيل، 1995 ،ص 237-248 .

2- محمود سامي البارودي، ديوان رئيس الوزراء محمود سامي البارودي، المصدر نفسه، ص 237-248 .

3- محمود سامي البارودي، ديوان رئيس الوزراء محمود سامي البارودي، مصدر سابق، ص 248 .

إنْ كُنتَ لَم تَرحمْ ضَنايَ لبُعدها أفَلا رَحمْت منَ الأَسَى أوْلادِي؟

أَفْرَدَتهُنَّ فلم ينمْنَ توَجُّعًا قرْحى العيونِ رَواجِفَ الأَكْبادِ

ألقَيْنَ دُرَّ عقودهنَّ وصُغْنَ منَ درِّ الدُّموعِ قلائدَ لأجْيادِ

يَبكِينَ منْ وَلَهٍ الفرَاقَ حفيَّةً كانَت لهنَّ كَثيرةَ الإِسْعادِ

فخدودُهنَ منَ الدُّموعِ نديَّةٌ وقلوبُهنَّ منَ الهُمومِ صَوادِي

وختم البارودي القصيدة بالتمني، والرجاء، وهو أضعف الإيمان، على أمل لقياها يوم اللقاء، فالشاعر لم يبق له إلا الأمل في لقياها يوم المعاد فيقول:[1]

قدْ كِدْتُ أقضِي حسْرةً لوْ لَم أَكُن متَوقِعًا لُقياكِ يَومَ مِعادِي

فَعلَيكِ منَ قلْبِي التَّحيةُ كلَّما نَاحَتْ مُطوَّقةٌ على الأعوَادِ

يمكن القول أن البارودي رثى زوجته بحرية مطلقة، وترك إحساسه بالحزن، والألم يظهر في كلمات قصيدته دون حرج أو خوف من مجتمع سيحاسبه، فتحرر من قيود الأعراف، والتقاليد، فكانت قصيدته قوية في التعبير جياشة العواطف.

رثى نزار قباني زوجته بلقيس تلك الإنسانية التي ماتت، ولم تكن لتموت في خيال نزار، ولم تمحى من ذاكرته التي سكنت بها، تزوج نزار قباني العراقية بلقيس الراوي، وهي زوجته الثانية، ورزق منها بزينب، وعمر، ولقيت حتفها في حادث انفجار السفارة العراقية ببيروت عام 1982م، وترك رحيلها أثرا نفسيا سيئا عند نزار قباني ورثاها بقصيدة شهيرة تحمل اسمها:

بلقيسُ

1- محمود سامي البارودي، ديوان رئيس الوزراء، من، ص 248 .

كانت أَجملَ المَلكاتِ فِي تاريخِ بابلَ

بلقيسُ.

كانَت أَطوَلَ النَّخلاتِ في أَرضِ العرَاقِ

كانتْ إذَا تَمشِي

تُرافِقها طَوَاويسٌ ...

وتَتبعُها أَيائِلٌ ...[1]

وقد حمل نزار قباني الأمة العربية مقتل زوجته، وملهمته لأنه لا يقوى على فراقها فيقول:[2]

قتَلُوك يا بلْقيْس

أيَّةُ أمَّةٍ عربيَّةٍ

تِلْك الَّتي

تغْتَالُ أصْوَاتَ البَلابِلِ

ونجد نزار قباني يتغزل بزوجته الراحلة، وكأنه يستحضرها، وهذا من التجديد حيث كان الشاعر لا يذكر صفات زوجته لأنه من المحظورات، أما نزار قباني فلم يوفر كلمة فقالها لزوجته فيقول:[3]

يا أعْظَم المَّلِكاتِ

1- نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ط2، بيروت لبنان، منشورات نزار قباني، 1998، ص 10.

2- من، ص 13.

3- من، ص 26.

يا امرَأةً تُجسِدُ كلَّ أمجادِ العصورِ السُّومَريةِ

بلقيس...

يا عُصْفورتِي الأَحلَى

ويا أَيقُونتِي الأَغْلَى

ويا دمعًا تناثَر فوْقَ خدِّ المجدليَّةِ

وأخيرا يمكن القول بان نزار قباني ربط وجعه بفقدان زوجته بوجع الأمة العربية فكأنه بلقيس مزيجا بين الرثاء، والسياسة.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: ما هي خواص رثاء الزوجة في الشعر المعاصر؟

أولا: خواص رثاء الزوجة في الشعر المعاصر

تعتبر دواوين رثاء الزوجة أهم خاصة في رثائها إذ نجد أن الشعراء المعاصرين خصوا زوجاتهم بدواوين كاملة تتحدث عن زوجاتهم، وعن لوعته فقدها، ومرارة الحياة دون شركية العمر، ورفيقة الدرب وهذه الدواوين جاءت على هذا الترتيب (أنات حائرة) لعزيز أباظة، وهو أول ديوان نظم في هذا المجال (من وحي المرأة) لعبد الرحمن صدقي، وأخيرا الديوان الذي سنقوم بدراسته (حصاد الدمع) لمحمد رجب البيومي، وقبل التحدث عن هذه الدواوين يجب أن نتكلم عن سبب ظهورها في مصر، وأهم سبب هو أن القرن الماضي شهدت مصر جهودا في سبيل تحرير المرأة، فالقاعدة الاجتماعية المناسبة كانت قد توافرت لظهور هذه الدواوين، وكان لظهورها طبيعة الوضع الاجتماعي، والثقافي السائد الذي امتاز بالانتفاخ .

أصدر عزيز أباظة ديوانه "أنات حائرة " في جويلية 1943 بعد حوالي عام من وفاة زوجته، وأم أطفاله الثلاثة وهو الديوان الوحيد له، وقد بلغ عدد صفحاته 198 صفحة قسمة إلى جزأين: قسم خاص بالرثاء (116 صفحة) والقسم الثاني اسماه (أصداء كريمة، ورصد فيها ردود فعل من أهدى ديوانه اليم، وأهم العناوين التي حملتها قصائده: ليلة وليلة، الزيارة الأولى، بعد عامين سنوات عشر، أمنية، من أطياف الماضي، وحي الغروب، أشجان رمضان، ذكريات، يوم ميلادك بابني، لما خلعت سوادي، وقد نميز ديوانه بصدق العاطفة، وقد رصد في ديوانه اللحظات الأخيرة لزوجته فيقول : [1]

دَفعَتْ رأْسَها إليَّ وألْقَت رأْسها عِند رَاعِدِ ذِي خفُوقٍ

ثُمَّ قالَت في أنَّةٍ تتَهَاوى: أزْفَت ساعةُ الفِراقِ السَحِيقٍ

لا تُرَعلْ واحْمل الفَجيْعةَ جَلدًا لسْتَ للضُّعفِ عنْدها بخَلِيقٍ

1- عزيز أباظة، أنات حائرة، ط3، القاهرة، مصر، مطبعة مصر، د ت ص 30.

ويقول في ديوانه لابنته الصغرى

كنَّا بعيشٍ مُونقٍ المَظهَرِ غضِّ المَخْبَرِ

تضمُّنا أمُّكِ في هالةِ بدرٍ نيِّر

في نسقٍ منضَّدٍ ومنزِلٍ مطهَّرٍ

حتَّى هَوتْ كالشَّمسِ في مغْربِ يومٍ أغْبَرٍ[1]

تكون ديوان عبد الرحمن صدقي (من وحي المرأة) من ثلاثة أجزاء فكان القسم الأول بعنوان "الحب أقوى من الموت" وقد احتوى على ثلاثة وثلاثين قصيدة عدا عن القصيدة التي استهل بها ديوانه بعنوان (الشاعر والقدر) وقد حشد في هذا الجزء المشاعر الأليمة التي أملت به، وإحساسه بالوحدة، والألم فيقول في قصيدته "الواقعة "[2]

أقَمتُ لكِ الأشعارَ نُصبًا ومنْ يكُن كمِثلكِ عِلمًا فهُوَ بالشِّعرِ أخْلَقُ

فَقدُتك يا إِلْفِي، أو كُنَّا كأنَّما عرفتُك مُذْ خَلْقي ومن قبل نُخْلَقُ

أما الجزء الثاني فكان بعنوان "عود على بدء" فكان بعد عام على موت زوجته، وأما الجزء الثالث فعنوانه ب "الرحلة إلى ايطاليا" وختم الشاعر ديوانه بأربعة قصائد، وتجلي اليأس في هذا الديوان، والحزن على فقدان الزوجة.

و أخيرا ثالث هذه الدواوين ديوان حصاد الدمع لمحمد رجب البيومي طبع هذا الديوان طبعتين الأولى عام 1979م، وجاءت الطبعة الثانية عام 1984م وقد خلا الديوان من كلمات النقاد على عكس الدواوين السابقين عدا كلمة الختام لمدير دار ثقيف للنشر، أما قصائد الديوان فكانت مما جمعه الشاعر من المجلات الأدبية التي نشرت قصائده، فهذا الديوان لم يحوي كل القصائد

1- عزيز أباظة، أنات حائرة، م س، ص 16.

2- عبد الرحمان صدقي، من وحي المرأة، د ط، القاهرة، دت، ص 21.

التي رثى فيها البيومي زوجته، فيقول"...لأن أكثره لا يزال في مسوداتي، أحاذر أن أعود إلى تبيضه، فاستعد هذه الأحاسيس الكاوية التي **أو**حت به"[1].

استهل البيومي ديوانه بمقدمة تحدث فيها عن تلقيه خبر موت زوجته، وكيف أنباء أولاده بهذا النبأ الأليم، وقد ضمن الشاعر مقدمته مقالة نشرها عند مرض زوجته في مجلة الأديب الصادرة في عام 1969م، وقد تحدث الشاعر عن حالة الضعف التي غلبت على كيانه، وطولها حتى أنها دامت خمس سنوات فيقول: " وكم تصبرت لأقوم بإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ولكن تجدد المشاعر الأليمة يدفعني أن أرجئ إلى يوم بعد يوم، وليت شعري متى يحين، وقد مضت خمسة سنوات ثقال الأسى، وتزايد وعهدي به يقف عند حد لدي سوى" [2].

اشترك الدواوين الثلاثة في الموضوعات التي تطرقت لها لكن كل شاعر تفنن في رسم معاناته، وسنحاول استخراج أهم الموضوعات التي وردت في ديوان" حصاد الدمع"، وهو موضوع بحثي لنلمس حجم معاناة محمد رجب البيومي لفقدان زوجته، ورفيقته، فالشاعر صور كل شعور أحس به في اللحظات الأخيرة لحياة زوجته، ولحظة وفاتها، ومعاناتها بعدها فالشاعر لم يترك شعورا لم يكتبه ليرثي رفيقته، وسنرصد هذه الموضوعات.

ثانيا: موضوعات ديوان حصاد الدمع

1/ الفقد واللوعة:

دجج الشاعر ديوانه بجيوش من الحزن، والألم اللذان اعتصر قلبه اثر رحيل رفيقة الدرب، وشقيقة الروح، والذي ترك في نفسه حرقة، ونارا لهبت كيانه، تلك الزوجة التي رآها تعاني السقم، وتكابد لتبقى إلى جانبه، لكن الموت كان أقوى فأخذها، وتركت شاعرنا مكتوف اليدين عاجزا عن منعها من الرحيل بلا رجعة، فقد صور محمد رجب البيومي لوعته، وصدمته عند تلقي نبأ وفاة زوجته،

1- محمد رجب البيومي، حصاد الدمع، د ط، القاهرة، مصر، مطبعة دار العالم العربي، 1979، ص .

2- محمد رجب البيومي، حصاد الدمع، م س، ص 8 .

فكان أثر الواقعة صادما له، فكانت هذه اللوعة الموضوع الذي طغى على ديوان حصاد الدمع الذي صور هذه اللوعة فقال : [1]

فارقُونا وباطِلٌ أنْ يعودُوا كيفَ وَارَاهم المكانَ البعِيدَ

زيَّنوا طلْعةَ الوُجُود فلَما تَرَكُوه دَجَا عَلينَا الوُجود

تَرَكوا حسرةَ الفُؤادِ ورَاحُوا حَيثُ لا يَلْتقِي بهِم مَفْؤُودُ

أيْنَ سَارُوا؟ نَصِيحُ كلَّ يومٍ: أينَ سَارُوا؟ ومَا تَجِيءُ الرُّدُودُ

الشاعر يعبر عن وقع الفراق في نفسه فراق الأجسام لا الأرواح فروح زوجته تعيش في داخله هذا الفراق الذي يستحيل بعده اللقاء مما يصعد الحزن، والألم في نفسه، فرحيل زوجته جعل الوجود مظلم بعد أن كان منارا بوجودها إلى جانبه فهو يسأل لماذا غابت، ولماذا تركته وحيدا لكن هيهات أن تجيب فالبيومي يشعر بالوحدة، والغربة بدون زوجته، وإن مصابه لم يصب به احد قبله من كثرة إحساسه بالحزن، والتفجع، ويتجلى ذلك في قوله [2].

كَأنْ لمْ تَمُتْ أنْثَى سِواهَا ولمْ يصَبْ كَمِثلِي زوجٌ فافتقَدتُ عزَائِيَا

فالشاعر يصور مصابه الجلل بفقدان ضوء عينيه فهو بدونها كالأعمى الذي يحتاج إلى النور، ولا يرى إلا الظلمة فيصور ذلك في قوله: [3]

فَقَدْتُكِ فقْدانَ الضَّرِيرِ ضِياءَه فخَطْبي مهْمَا تَصَبَّرتُ فَادِحٌ

و يصور الشاعر أساه بعبارات مزلزلة تحمل في طياتها حزن رجل، وزوج، وأب فهي كانت في حياته كل شيء فهي ضوء الشمس حيث يقول [1] :

1- م ن، ص 10.

2-البيومي محمد رجب، حصاد الدمع، م س، ص 109 .

3- محمد رجب البيومي، حصاد الدمع، من، 84 .

شَجَنٌ بنَفْسِي غالَ قوَّتَها

كالشَّمْسِ قد سُلبَت حرَارتَها

كُرةٌ افْتقَدَت أَشِعَتَها

فغَدَت كَبعضِ الصَّخْرِ في القَفرِ

وعبر الشاعر عن لوعة الفقد في جميع أنحاء ديوانه بحرية مطلقة، وتعتبر قفزة نوعية في رثاء الزوجة، الذي كان يتحرج الشاعر فيه عن التعبير بحرية عن ألامه، بل، ويكتم دموعه أما محمد رجب البيومي فقد نفث لهب حزنه، وألمه، وترك دموعه تنهمر بحرقة لفراق زوجته:

2-نبأ الرحيل:

يصور لنا ديوانه " حصاد الدمع " لحظة تلقي البيومي النبأ المشؤوم الذي تصادمت في أحاسيس الألم، والهلع، والحزن، والرغبة في الهروب من الواقع هذا الخبر الذي ترك روح الشاعر مجروحة لا يداوها إلا وجود زوجته التي ما عادلها، وجود فهي انتقلت إلى رحمة ربها فالبيومي يستحضر صورته إثر تلقيه الواقعة في قوله: [2]

عجزْتُ أنْ أصْرخَ وارْتَميْتُ

وغِبتُ عن حسِّي فمَا وَعَيتُ

تَسأَلُني لَمْ أدْرِ ما صَنَعتُ

فإنَّ عَقْليَ لمْ يَكُن لَدَيَّا

1- م ن، ص 48 .

2- م ن، ص 12 .

فالشاعر عند تلقيه الخبر كان كالغائب عن وعيه لا يدر من أين جاءه هذا المصاب الجلل، والمرارة كانت تجر وراءها مرارة أخرى فكيف سيوصل هذا النبأ إلى أبناءه فلذات كبده فيقول في مقدمة ديوانه " وأذكر أن دمي قد غلا في عروقي دون أن أقدر على أنفس عن أواره المضطرم بدمعة عين، حتى إذا ما تمالكت صوابي بعض الشيء تهيبت أن أرجع إلى أكبادي الصغار فأخبرهم أن أمهم قد رحلت إلى حيث لا تعود " [1]

فالبيومي يصور هذا المشهد الحافل بالألم، والحسرة، وهو ينقل لأطفاله خبر كان عظيما عليه فكيف سيكون، وقعه على أبناءه الصغار فكان الشاعر يتمزق قلبه على ردة فعل الأبناء فقال:[2]

سيَلْطُمونَ صارخيْنَ فَزَعًا

ويَنحَبُون صَاخبينَ جَزَعًا

وليْس لِي مِن حِيلَةٍ فأَمْنعَا

قدْ ضَاعَ كُلُّ الأمْرِ من يدَيَّا

و كذلك في قوله :[3]

لِمَ يا حمامُ فجعتَهُم برَحيلِها وهُمْ فراخٌ في العِشَاشِ نِثَارُ؟

أَتظَلُّ هذي الشَّمسُ ترسِلُ نوْرَها ولمَنْ؟ وفَوقَكِ هذِه الأحْجَارُ؟

لِمَ يا ضياءَ الشَّمسِ لمْ تلِجِ الثَّرى فتَحوطُها في قَبرِها الأنْوَارُ؟

1- محمد رجب البيومي، حصاد الدمع ،م س، ص 07 .

2- المصدر نفسه، ص 12 .

3- المصدر نفسه، ص 18 .

فالشاعر ينكر على الموت أنه سلب الأم من أطفالها فهو يعاتبه، وهذا يدل على صدمة الشاعر، ويصور لنا وقفته حائرا عند سؤال أبناءه عن أمهم فهو يتقطع عند سماعهم، ولا يسعه إلا أن يستسلم للعجز، والحيرة، ويصور لنا ذلك في قوله [1]:

يقُولُونَ مَامَا ما الَّذي أَنَا صَانعٌ؟ ومِنْ دُونِ (مَامَاهُم) ترَابٌ وجَندلُ

ويبدي الشاعر عجزا شديدا عند سؤال أبنائه عن أمهم فهو لا يملك إلا الشعور بالألم، والعذاب فهو يقف عاجزا ضعيفا أمام أولاده حسب قوله [2] :

شَديدٌ علَى نَفْسِ الأبِ البِّرِ موقِفٌ يُهيْبُ بِه أطْفَاله ثم ينْكُل

يُعذِبه احْساسُه برَحِيلِها وإحسَاسُه الدَّامِي أشَدُّ وأَهوَلُ

البيومي يعبر عن كل دقيقة، وكل لحظة تمر عليه دون زوجته حتى لحظات، وصول النبأ المشؤوم فصور ذاته عندما، وصله نبأ موت زوجته :[3]

كَسقْطةِ الصَّاعِقةِ المُدَمرَه

كَرَجْفَةِ الزَّلْزلَةِ المُزَمجِرَه

كصرْخةِ القُنبُلَةِ المُنْفجِرَه

قد كَانَ وقْعُ نعْيِهَا عَليَّا

3- معاناةأب:

---

1 - م ن، ص 25 .

2البيومي محمد رجب، حصاد الدمع، م س، ص 25 .

3 - من، ص 25 .

أن الشاعر وقف يصارع حزنه، ويتم أطفاله الصغار، وقد عبر عن ذلك في حصاد الدمع فقد كان موضوع المعاناة موضوعا برازا في جل قصائده فالأبوة مسؤولية كبرى فكيف يعمل، وهو قد ألقي على عاتقه مسؤولية أخرى، وهي مسؤولية الأمومة؛ زوجته التي رحلت بغتة تركت ورائها زوجا وحيدا، وأطفالا لا يدرون أن الموت فراق أبدي فالشاعر رثى حاله، وحال أطفاله في هذا الديوان، وقد أفرد فيه قصيدة بعنوان " أكباد أطفالي" يصور فيها هواجسه، وأحزانه فيقول [1]:

أكبَادُ أطفَالِيَ دهَتْكِ النَّارُ أَيعِيشُ في لَهَبِ الجحِيمِ صِغارُ؟

لمَا يا حمامُ هَصَرتَ غصْنَ شَبابِهَا ولهُ زهوٌر غضَّةٌ وثِمارُ؟

و هذا الدليل على ما يستشعره الشاعر الأب من مرارة اليتم التي حاقت بصغاره فالطفل دون أمه كعصفور مكسور الجناح ، ومن هذا امتد حزن، وألم الشاعر بسبب حال أبنائه ، فبكاهم كما بكى نفسه ، فالبيومي، وجد نفسه حزينا عليهم، وعلى انقطاع منبع العطف، والحنان، وكذلك على حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه، وخوفه من عدم قدرته على تحملها، فالأطفال ألحوا بالسؤال عن مصير أمهم، وعن سبب غيابها، وماذا سيجيبهم المسكين؟ وكيف سيفسر لهم ذلك فيقول: [2]

يَقولُونَ مَامَا كُلَّمَا عَنَّ مشْكِلٌ وأَوْلَى بهِم أنْ يَسْكُتوا لَوْ تَعقَلُوا

و لا ينفك الصغار عن السؤال بإلحاح، وإصرار مما يزيد من ألم الأب المتفجع، ويضيف على جرحه جرحا فلا يلتأم، ويظهر ذلك في قوله: [3]

وَسُؤَالُ الأطفالِ عَنْها مَتَى تَأْ تِي؟ ولَا يشْتَفِي برَدٍ سُؤَالُ

و كذلك عن سؤال ابنته ذات الثلاثة سنوات " غادة " التي تريد النوم، ولا تجد حضن أمها، وهي إحدى الأمور، والصور الأليمة التي صورها لنا الشاعر فيقول :[1]

1- م ن، ص 16 .

2- البيومي محمد رجب، حصاد الدمع، م س، ص 25 .

3- م ن، ص 25 .

وتَجِيءُ غَادَةٌ وهي ذاتُ ثلاثَةٍ ولهَا كربَات الحَجَا اسْتِفْسَارُ

فتقُولُ: أمِّي يَا أَبِي قَدْ أَبطَأتْ, بِالله أيْنَ مَكانُها فتُزَارُ؟

حلَّ المَسَاءُ ومَرقَدِي بجِوارِها أَأَبِيتُ وَحدِي مَا لَديَّ جِوارُ؟

لمْ تَدْرِ ما حجْمُ المُصِيبَةِ وَيْحَها وأَنَابِها أدْرَى، فكُلِّيَ نارُ.

و كل هذه الأسئلة تسطر حجم المأساة، وتصور حجم الواقعة التي أدركها الشاعر فعجز عن الإفصاح عنها، وترك الإجابة تمزق جوارحه فطفلته مازالت لا توفق معنى الموت، والحياة .

و نجد الشاعر يتخبط في الخوف من عدم مقدرته عن تحمل المسؤولية وحده بعد إن كانت زوجته تحمل عنه بعض الأوزار، فكيف يتحمل أعباء الأمومة، وهو بالكاد يستطيع تحمل أعباء لأبوة؟ وقد عبر عن ذلك من خلال خوله: [2]

تَحمَّلتُ أعبَاءَ الأبُوَةِ صَامِتًا وإنْ تَكُ فوقَ الظَّهرِ تَجْثُمُ كالطُّودِ

أَ أَحْمِلُ أعْباءَ الأُمُومَةِ فَوقَهَا؟ فأَسْقُطَ مُنهَارًا وماَ أنَا بالجَلْدِ

أَ أُصْبحُ أمًا في الحيَاةِ ووَالِدَا؟ رُويدَ شقَائِي كَمْ يُضَاعف مِنْ وَجْدِي

فالشاعر استثقل همه بفقد الأم التي كانت تتحمل مسؤولية أبنائها فيقول: [3]

وأَعُودُ متَكفِّنًا لأَولاَدِي

أُخفِي أسايَ وظِلُّهُ بَادِي

وَيحَ الرَّدَى مَا ذَنْبُ أَكْبَادِي

1- م ن، ص 19 .

2م ن، ص 19 .

3- البيومي محمد رجب، حصاد الدمع، م س، ص 49 .

حتَّى يُلاقُوا حسْرَةَ العُمْرِ

فالشاعر خائف من أن يقصر بإمدادهم بالعاطفة التي تغنيهم عن حنان أمهم، فكان يصور خوفه عن طريق تصوير المواقف اليومية التي تتعامل معها الأم مع أطفالها ببساطة، وتلقائية إلا أنه يبقى مرتعشا أمامها لقلة خبرته فيقول على سبيل المثال: [1]

فَكمْ لَيلَةً كَابَدتُها مَعَ طَفْلةٍ تَئِنُّ فأُبْدِي جزَعًا مثْلمَا تُبدِي

فيتعادل إحساس الحزن بين الشاعر، وأبناءه، فالبيومي يشعر أن موت زوجته هو موته كذلك ورغبته في الموت لكن أبنائه هم الدافع الوحيد لاستمرار في العيش لأنهم بحاجته فيقول: [2]

وبِحَلقِي مِنْ مرَارَةٍ مَا لَوْ صبَّ شهدٌ عَليهِ لَم يُغنِ شَيًّا

معاناة الشاعر كأب أثقلت كاهله فبرحيل زوجته وجد نفسه وحيدا مع أطفاله الذين هم بحاجة إلى دفئ حضن أمهم، وهذا ما زاد من حزنه، وألمه فأصبح الشاعر متفجعا على حال صغاره بعد فراق أمهم، وهذا ما صوره في ديوانه – حصاد الدمع – الذي عكس معاناته كأب، وكزوج فقد سنده في الحياة، وشريكه في السراء، والضراء.

4- الذكرى:

وقف البيومي طويلا بين الماضي الذي كان يملؤه كيان زوجته، والحاضر الخالي من الفرح لغيابها عنه، لهذا نجد ديوان " حصاد الدمع" يعج بأبيات استشعر فيها الشاعر ذكرى زوجته عندما كانت

1- م ن، ص 34 .

2- م ن، ص 54 .

بجانبه تواجه معه مصاعب الحياة فهي البلسم الشافي، والصدر الدافئ الذي يحميه من الألم ، والعذاب، فالشاعر يذكر أدق تفاصيل زوجته، وكأنها مازالت تعيش إلى جواره فيقول [1]

أيامُ بسْمتكِ الرَّقيقةِ بلْسمٌ والجرحُ في دامِي الحشَا نغَارُ

أيَامَ نظْرتكِ العَطوفةُ سكِينةٌ للنَّفسِ باتَ يرجَاها الإعْصَارْ

أيامُ هِمتكِ الطَموحِ تُقيلُني إن حاقَ بي ضُعفٌ ولجَّ عِثارُ

فموضوع الذكرى كان من أهم الموضوعات التي تطرق لها الشاعر في رثاء زوجته فهو يذكر حتى يومياته مع زوجته، ويقارنه مع غيابها فيجد الفرق شاسع فيقول، وهو يصف وقت الصباح: [2]

كنْتِ لدى الإصْبَاحِ تُوقِظِينِي

وتُعدِ إفطَاريَ وتُطْعِمِني

و الآنَ أَصْحُو لَا يَحدِّثُنِي

غَيرَ الَّذِي يَهْتاجُ فِي صَدْرِي

و يقول أيضا : [3]

إنْ تأخَرتُ بعْضَ وقْتٍ تَعَجَلْ تِ فأَرسَلتِ منْ يخفُّ إليَّا

وتسَاءلْتِ: أيْنَ كُنتَ؟ بِجِدٍّ يَتراءَى انفِعالُه فِي المُحيَّا

وتَلقَينَنِي علَى البَابِ حَيْرى كالَّتِي كابَدَتْ صِراعًا خَفِيًّا

1- محمد رجب البيومي، حصاد الدمع، م س، ص 22 .

2- م ن ، ص 22 .

3- م ن، ص 53

فالشاعر يرصد أدق تفصيل عاشه، وزوجته فهي تركت ذكرى تنبض دون توقف، ولا يستطيع الشاعر الهروب منها فالذكريات أصبحت واقعا يعيشه، وحاضرا يحاول أن ينساه فزوجة البيومي كانت الزوجة التي لا تنس بسهولة، وهذا ما جعل النسيان من المستحيل فيقول الشاعر معبرا عن ذلك: [1]

ويْحَ آثَارهَا الحِسانِ بِبَيتِي إذْ شوَتْ روحِيَ المعذَّبِ شيَّا

من عُطورٍ تريقُ دَمعِي وحِنّا وثِيابٍ بحَصْرِها صِرتُ أَعْيَا

ولَها صورَةٌ تَحاشَيتُ جَهْدي أنْ أَرى وَجْهَها صَبيحًا نَديَّا

وشَريطُ التَّسْجِيلِ أقْصِيهِ حتَّى لا يُسِيل اسْتِماعُه جَفْنَيَّا

بلْ وحتَّى الحِذاءُ يأْخُذُ منِّي مأْخَذَ الحُزنِ مُهمَلاً مَقصِيّا

لكن الذكرى أصبحت تعذب الشاعر فيخبرنا أنه حاول الهروب منها لكن ذكر زوجته يطارده ارتحل فيقول: [2]

قدْ تبدَّلْتُ غيرَ سُكْنَاي حتَّى أُسْكتَ الذِكرياتِ عنِّي مليَّا

فإذَا الذِكرَياتُ في دَاخلِ القَلْ بِ فَمَهْما ارتَحلْتُ ثارَتْ فيَّا

مَنزلي غيرُ منزلِ الأمْسِ لَكنْ ما شفَانِي تغْيِيرُه داخِليَا

و يقول أيضا في نفس السياق: [3]

.ذكرَياتِي تُضِلُنِي عن صَوابِي حيثُ لا أسْتبِينُ نهْجًا رَضِيَّا

1- م ن، ص 58 .

2- محمد رجب البيومي، حصاد الدمع، م س، ص 49

3- م ن، ص 58 .

مثل موت زوجة البيومي انعطافا نفسيا حادا، وانقلاب حياته رأسا على عقب فالذكريات السعيدة التي عاشها مع زوجته تحولت إلى جروح تملأ حياته، وأصبح الشاعر يهرب من أي شيء يذكره بها فيقول في نفس القصيدة: [1]

كَم طريقٍ سَعتْ به فأثارَتْ لاعَجَاتِي فَما أُطِيقُ السَّعيَا

كُلمَا قد ذكرتُ فِيه خُطَاها كَوتِ القَلبَ في الأضلُعِ كيَّا

كَم محلٍ للْمُشْترَى انتحيتُه ذَاكرًا أَمسَها فأَسقُط وَهْيا

للضروراتِ وحدَها صارَ مغْدَا يَ لِكي لا أُذكِي الأسَى بيديَّا

و أخيرا يمكن القول أن الذكرى أبرز موضوع في الرثاء، وقد بينه البيومي بجلاء في ديوانه، واستحضر الذكريات دليل على وفاء الزوج، وإخلاصه .

5- صفات الزوجة:

ذكر صفات المرثية، ورفع الحجاب عن محاسنه من أهم مواضيع الرثاء، أما البيومي بعد أن أنكر على نفسه من قبل ذكر خصال زوجته يجد نفسه بعد وفاتها يصفها بأعذب الأوصاف فهي في نظره تستحق الوصف بل من واجبه ذكر محاسنها الجسدية، والأخلاقية فيقول[2]:

أَنكَرتُ وصْفَكِ في الحَياةِ تَزَمُّتًا أيَجُوزُ بعْدَ الرَّدَى الإِنْكَارُ؟

فالبيومي وصف صبى زوجته، وشبابها، وكأنه ينكر على الموت أخذها، ويراها أنها رغم صغر سنها إلا أنها رزينة واعية ذات وقار فيقول وصفا ايها:[3]

ولها رغْمَ الصِّبَا وفُتُونِه مثلُ العقَائِلِ هيبةٌ ووَقارُ

1- م ن، ص 58 .

2- محمد رجب البيومي، حصاد الدمع ،م س، ص 202 .

3- م ن، ص 17 .

زادَ الجَمالَ عفَافُها اشْراقَةً فهما بعيْنِي مِعصمٌ وسِوارُ

شَاهَدتُها بسَّامةً في بَيتِها مهْمَا طَغتْ من حَولِها الأكْدَارُ

تسلُ بالبسْمَاتِ حزْنَ قَرِيْنهَا فلَهُ بطلْعَةِ وجْهِها اسْتِبشَارَ

شَاهدتُ منْزِلهَا بِها أُغرُودَةٌ رنَّتْ فَهشَّ لِلَحْنِهَا الزُّوَارُ

تَتَعهَد الأفْلاذَ في أحْضَانِها بهَوى لَهُ بَينَ الضُلوعِ أَوَارُ

و يصف الشاعر زوجته، وجمالها، ويسأل كيف لهذا الجمال أن يدفن تحت التراب فيقول: [1]

أذَاكَ الجَبينُ الطَّلْقُ يُطفَأُ نُورُه وكَان يُشعُّ الحُسنَ في عَالَمِ الأُنْسِ؟

أذاكَ القوَامُ للدنُ يقْصِفهُ الرَّدَى وكانَ نضِيْر العُودِ مزدَهرُ المَيسِ؟

إن ذكر صفات الزوجة من الأمور المستجدة في رثاء الزوجة فالشاعر انفلت من قيود المجتمع الذي كان يمنع ذلك بل بعب الشاعر على مثل هذا الوصف لكن البيومي كسر الحاجز لأنه يرى أن زوجته تستحق الوصف .

6- مرض الزوجة

مرض الزوجة من اللحظات الأليمة التي مر بها الشاعر في مرض زوجته كان أخر محطة في حياته معها، فكان هذا الموضوع ملحا في ديوان حصاد الدمع، فالشاعر يرى زوجته، وهي تقاوم السقم من اجل البقاء إلى جانبه لكن المرض كساها، وخيم على جسدها المنهك فيقول البيومي وصفا ذلك: [2]

تنَاوَبَها سُقْمٌ وبَرءٌ تعَاقَبَا عليهَا عقابَ المَوجِ بالجَزْرِ والمَدِّ

1- م ن، ص 33 .

2- محمد رجب البيومي، حصاد الدمع، م س ،ص 37 .

إذَا قلُتُ صَحَتْ واستعَادَت رَوَاءَهَا دهَاهَا انتِكَاسٌ لَاحَ فِي صُفرَةِ الخَدِ

وكانَتْ على عُنْفِ الصِرَاعِ أَبيَّةً تَرى صَخبَ الدُّنْيَا فتَبتَسِمُ في زُهدِ

كسَاهَا صِيَالُ الدَّاءِ في ثبَاتِه جمالاً حَزينًا شَدَّ مَا لَا عَنِي وَحْدِي

و يستذكر الشاعر عبر ديوانه كلام الطبيب، وهو يصارحه بحقيقة مرض زوجته[1]:

ويَكْربُ نَفسي هَمسُ الطَّبِيبِ فأَجزَعَ لِلْنَّجْمةِ الآفلِه

فقد شبه زوجته،و هي مريضة على فراش الموت بالنجمة التي ستغيب بلا رجعة إن مرحلة مرض زوجته من أصعب مراحل حياته، فهو لا يجد السبيل لانقاد حياتها، ويقف حائرا أمام سؤالها: هل سأشفي فيجد نفسه مقيدا لا يستطيع الحراك فيقول وصفا ذلك : [2]

دَعَوتُ لَها الأَفْذَاذَ في الطِّبِ جُملَةً وشَتَى، ومن غَربٍ بنَماهُ ومَشرِقِ

فلَمْ يأْتَلُو جَهدًا ولا وَجهَ حِيلةٍ وقَد سَوَّرُوا دوْنَ الظُنُون وخَنْدَقُوا

تَقولُ بصَوتٍ قدْ تَهضَّمهُ الضَّنى وأجهشَ حتَّى ما يُبيَّن مَنطَقه:

أأُشْفَى؟ أَجَلْ يا قُرَّةَ العَينِ لَا تَهِي ولا تَجْزَعِي، إن الشِفَاء مُحقَقٌ

وتَرْمُقُني منها لَواحِظَ وَامِقٍ تجلَّى هَوَاهُ كلَّهُ حِينَ يَرمُقُ

لقد رصد محمد رجب البيومي هذه الفترة العصيبة التي تركت في قلبه جرحا لا يشقى فهو يرى زوجته ترحل ببطء ولا يستطيع منعها من مواجهة مصيرها، والموت محتم فمرض الزوجة كان من المواضيع الحساسة التي مرت في ديوانه حصاد الدمع .

7- زيارة القبر

1- م ن، ص 10 .

2- م ن، ص 109 .

زيارة قبر الزوجة من المواضيع التي وردت في ديوان حصاد الدمع فالبيومي وقف طويلا أمام هذا الموقف الصعب ،و كيف له أن يرى زوجته تحت التراب فزيارة القبر زادت من ألمه وحزنه خاصة عند دخوله المقبرة وذلك الصمت الذي يخيم يراه الشاعر كلام كثير لا يفهمه إلا من كان متّعظا فهذا المشهد مهيب ملأه حكمة وتفكيرا وكأن المقابر تذكره أنه سيلقى زوجته لا محلة، فزيارة قبر زوجته يقدر ما يوّلد في قلبه حسرة وألم بقدر ما يذكره بمصير الإنسان فيقول واصفا زيارته قبر زوجته:[1]

شَهدْتُ ديارَ الصَّامتِينَ فهاَجَنِي سُكوتٌ بِدنْيا الصَّامتينَ مهِيبُ

مقابرُ خرساءُ اللِّسَان نوَاطِقُ بأَتلَع ما يُفرِي الحَشى ويذِيبُ

تَجيشُ عظَّات النفْسِ فيها دوافِقُ بمَا لم يقُل في الوَاعِظينَ خطيْبُ

فالشاعر رغم وقوفه على قبر زوجته هذا الأمر في حد ذاته يزلزله إلا أنه يرى بأنه ميت لجموده وتيبسه في مكانه لأن الإنسان يتذكر الموت وما ينتظره من سكرات أما الأموات فقد لا قو مصيرهم فهم يخبرون الأحياء عن مصيرهم وكأنه الاحياء فيقول:[2]

هنَا الحيُّ ميتٌ إذ يرَى كيفَ ينتَهِي فلَيسَ له فوْقَ التُرابِ دبيبٌ

هنا الميتُ حيٌّ إذا يثيرُ لَواعِجًا لهَا هجمَات في الحشَا ووُثوبٌ

تحولت زيارة قبر زوجته وقفة تأمل، لكنها تحمل حسرة في القلب فهو ينكر على الموت أنه أخذ زوجته منه وهي شابة وهذا دليل على شدة تأثره لرأيتها ترقد تحت التراب بعيدة عنه وعن بيتها وهو الذّي تمنى بقائها إلى جانبه حتى يأتي المشيب فيقول:[3]

هوىً عادَ في كفِّ المنيَّةِ حسْرةٌ تعَالَى لهَا بين الضُّلُوعِ نحِيبُ

---

[1]- محمد رجب البيومي، حصاد الدمع، م س ،ص 62 .

[2]- م ن، ص 62 .

[3]-محمد رجب البيومي، حصاد الدمع، م س ،ص 65 .

يُهالُ عليه التربُ عندَ شبَابِه ألَا مُهلَةً حتى يحينُ مشيبُ؟

لقد كانت لحظات زيارة قبر الزوجة من أصعب اللحظات التي مر بها الشاعر بعد وفاة زوجته لأنه كان يذرف الدمع ويشاركه في ذلك أولاده، قد كان يجلس وإياهم طويلا أمام ضريحها لكن هيهات أن تعود فيقول في ذلك:[1]

دفنَتْ أعظمُ وهِيلَ تُرابُ وتوارَى لحدٌ وقامَت سدودُ

وجَلسْنا لَدى الضَّريحِ طويلاً ومضَينَا وليْسَ ثَمَّ جديدُ

وبَكينَا دموعَنا ما اسْتطعْنا حيثُ لا تحْفظُ الدُّموعَ الخدودُ

موضوع الوقوف على قبر الزوجة من المواضيع التي استوقفت البيومي في ديوانه "حصاد الدمع" لأن قبر زوجته هو الذي يذره برحيلها وكأنه يزورها في قبرها ليتذكر أنها رحلت دون رجعة.

8-العتاب واللوم:

من المعروف على المجتمع العربي أنه برى الرجل رمز البسالة والقوة، وكأنه خلق بدون عواطف لذلك يلام إن أبدى الحزن خاصة بكأه على زوجته ولذلك كان لموضوع اللوم، والعتاب مكان في حصاد الدمع لأنه من المواقف التي تعرض لها بعد فقدان زوجته فيقول:[2]

يلُومونني أن صِرتُ أبْكي فرَاقَها فهلْ بَعد أنْ ضِعنا أتحَملُ

ويقول في نفس السياق:[1]

---

[1]- م ن، ص 109 .

[2]- م ن، ص 28 .

قَالو جزِعتَ ولم تطِقْ صبرًا

ولعلَّ مثلَك بالحَجا أحْرَى

قلتُ: الفَراغُ يُهيِّجُ لِي الذِكرى

فأفور مثْل المَّوجِ في البَحرِ

تغير حال الشاعر مما جعل أصحابه يعاتبوه فأصبح يتظاهر بالقوة رغم ضعفه تحاشيا للومهم، وليظهر لهم عكس ما هو مكنون فيقول:[1]

تظَاهرتُ بالسِّلوانِ ترضيَ صحابةً شديدٌ عليهمُ أنَّ دمعَكَ سافِحُ

لقدْ جزَعوا حينًا عليْها ورَدَّهُم تيَقُنهُم أنَّ النُّفوسَ طوائِحُ

ولكن الشاعر يستدرك قراره هذا لأنه لا يستطيع إخفاء تأثره برحيلها لأنه يرى ذلك واجب عليه وفوق إرادته فيقول:[2]

ولكنِّي أدْرِي فلسْتُ بعابِئٍ وقد نبَحتْني في أسايَ النَّوابِحُ

العتاب واللوم لا مهرب منهم لأن الشاعر يعيش في بيئة تعيب بكاء الرجل إلا أن البيومي تخطى لوم اللائمين وبكى زوجته بحرقة لا وبل كتب فيها ديوانا يترجم فيه حزنه لفراقها ولم يأبه بما يقوله عنه القائلون لأن مصابه أكبر من كلام يقال فجسد ديوان صاد الدمع هذا النضج حيث أصيح الشاعر يصرح بحزنه على موت زوجته ولا يكتفي بذلك بل يكتب دواوين تصف هذا الحزن.

9- حال الشاعر بعد الفراق:

---

[1]-محمد رجب البيومي، حصاد الدمع، م س ،ص 51 .

[2]- م ن، ص 84.

ورد في ديوان حصاد الدمع موضوع الحالة النفسية للشاعر بعد وفاة زوجته فالعجز سكن روحه والحزن أعمى بصره فأصبح هائما لا يدري أي اتجاه يسير فيقول واصفا ذلك:[1]

ألْمحتِ سيْرِي في الشَّوارِعِ هائمًا حيرَانٌ لا جلدٌ ولا استقرارُ

أخْشى اصطِدامًا في الطَّريقِ تُتِحُه سَّيارةٌ أو حفْرَةٌ أو جِدارٌ

تأثر البيومي لفراق زوجته جعل نفسه كئيبة فصار منطويا على نفسه يبتعد عن الناس لينفرد بحزنه وألمه فهذا الانزواء يدل على حجم معاناة الشاعر،وعدم قدرته الخروج من حالته هذه لإكمال حياته فيقول:[2]

أجفُو لأنَامَ تفَرُدًا بكَآبَتي فإذَا اضْطَرَرتُ فوحْشَةٌ ونفارٌ

فالبيومي انتهت حياته بانقضاء أجل زوجته لا يجد للحياة طعما فقد كانت زوجته الدافع الذي يحفزه، والسند الذي يستند عليه فوجودها كان يملأ كيانه بالرضى لكن برحيلها أيامه صارت متشابهة تسير في بطئ لتدهر حلته النفسية وقد كشف الديوان ذلك فنجد الشاعر يتحدث عن حياته السابقة، وعن مآلها بعد رحيله هذه الحالة التي انعكست على عمله كذلك فيقول:[3]

قَد كُنتُ أسْعَى نحْوَ جَامعَتِي

فرِحًا أفيْضُ على تلاَمِذَتي

فإذَا انْتهَيتُ ذكَرْتُ فاتِنتِي

فقصَدتُها في سرعةِ الطَّيرِ

---

[1]- م ن، ص 84.

[2]-محمد رجب البيومي، حصاد الدمع، م س ،ص 23 .

[3]- م ن، ص 49.

واليَومَ إذا يدْعُونِي العَمَلُ

يَنحَطُ بيْ الإعْياءُ والكَسلُ

أمْضي بطِيئًا حيثُ لا أمَلُ

يدْعُو إلَى الإسْراعِ في السَّيرِ

حالة الشاعر النفسية جعلته يزدري الحياة ويبتعد عن مغرياتها فما عاد يرى الجمال جميلا فقد اسود كل شيء في وجهه فيقول في هذا الصدد:[1]

وللفَقْدِ ايحَاشٌ يحِيلُكَ صخْرةً فأنْتَ أمامَ المغْرِيَاتِ بليدٌ

تَرى الرَّائعَ الخَلابَ أصبح تَافهًا فتزوَّر عنه عابِسًا وتَحْيِّدُ

فلا الجَاهُ يلْهِي باكيًا عنْ مُصابِه والمَال يغرِي طامِعًا فيَصيْدُ

حال الشاعر بعد وفاة زوجته من المواضيع التي طرقها ديوان حصاد الدمع ليبرز حجم معاناة البيومي، وتفجعه الذي قلب حياته رأسا على عقب.

هذه أهم المواضيع وأبرزها التي وردت في ديوان حصاد الدمع حاولنا الإلمام بها لتسليط الضوء على غرض رثاء الزوجة ، فالبيومي حاول أن يصف تجربته الأليمة ويلم بجميع أغوار هذه الحالة ليكسر حاجز الصمت، ويبكي زوجته بمرارة ،و حرقة.

---

[1]- م ن، ص 100 .

الخاتمة

الخاتمة:

بعد أن قمنا بدراسة ديوان " حصاد الدمع " لمحمد رجب البيومي على ضوء موضوع رثاء الزوجة توصلنا إلى عدة نتائج تتمثل في :

– عرف رثاء الزوجة تطورا ملحوظا عبر العصور بعد أن كان الشاعر يجعل رثاء زوجته يقتصر على بيت أو بيتين في قصيدته أصبح في العصر الحديث موضوع قصيدة مطولة، حتى أصبح في الشعر المعاصر موضوعا لدواوين كاملة.

– اقتصار ديوان " حصاد الدمع " على موضوع واحد، وهو الزوجة ورثاءها، وهذا ما لم يعرفه الشعر في العصور السابقة.

– أعلى محمد رجب البيومي في ديوانه " حصاد الدمع " مكانة المرأة على العموم، والزوجة بالخصوص التي كانت تعيش في ظلمة القيم الاجتماعية، والأعراف، ويعد ذكرها، وتعداد خصالها من المحرمات حيث عمد البيومي إلى كسر هذا الحواجز، والبوح بمشاعره التي يكنها لزوجته حيث أرخ لكل لحظة عاشها معها .

– تطرق ديوان " حصاد الدمع " إلى الحديث عن موضوع الأسرة العربية، وعن مميزاتها، وأكد أن الزوجة هي الأساس في تلاحم الأسرة، والحفاظ على تماسكها.

– سلط ديوان حصاد الدمع الضوء على العلاقة الزوجية التي كان من النادر التحدث عنها في الشعر حيث صور لنا البيومي علاقته بزوجته هذه العلاقة المليئة بالمودة، والرحمة، والتفاهم، وخاصة الوفاء ، حتى بعد رحيل احد الطرفين إلا أن حبل المحبة بقي متين ، لان العلاقة مبنية على الاحترام، والتقدير .

– صور لنا ديوان " حصاد الدمع " عواطف الحزن، والألم التي اعتصرت قلبي الشاعر، فقد عكس " حصاد الدمع " الحالة النفسية التي آل إليها الزوج الذي فقد رفيقة دربه بكل جوانبها لحظة الفراق ، ولحظة الوداع، وكيف تلقى الخبر فالديوان الم بكل المشاعر، وكل أحاسيس الألم، والحزن .

و لهذا يعتبر ديوان " حصاد الدمع " إضافة كبرى للأدب العربي عامة، ولشعر خاصة لأنه ينم عن تطور الفكر العربي، وتحرر الشاعر من قيود التقاليد، وأصبح يعبر عن حبه لزوجته، وعن حزنه لفراقها بعد أن كان هذا من المحرمات والممنوعات.

الملحق

الملحق :

السيرة الذاتية لمحمد رجب البيومي

ولد الدكتور محمد رجب البيومي في أكتوبر سنة 1923 بقرية " الكفر الجديد" مركز المنزلة محافظة الدقهلية.

تلقى تعليمه الابتدائي، والثانوي بمعهد الزقازيق الديني ، ثم انتقل إلى القاهرة طالبا بكلية اللغة العربية ن، وحصل منها على درجة الليسانس سنة 1949م ، ثم واصل دراساته العليا حتى حصل على الدكتورة من كلية اللغة العربية بالمنصورة ، وكان مقرر اللجنة البلاغة، وعضو بلجنة الأدب، والنقد لترقية الأساتذة بجامعة الأزهر ، كما عمل أستاذا بالجامعات العربية عدة سنوات، واشترك في مؤتمرات علمية في عواصم مختلفة بالدول العربية ، عمل رئيسا لتحرير مجلة الأزهر ، عضوا بمجمع البحوث الإسلامية .

توفي رحمه الله يوم السبت الموافق للخامس من فبراير 2011 م ، وتم دفنه عصرا في قريته الكفر الجديد .

مؤلفاته:

* التأليف الخاصة بالدارسات الأدبية والعلمية:

– البيان القرآني ، خطوات التفسير البياني ، أدب السيرة النبوية عند الرواد المعاصرين ، الأدب الأندلسي بين، والتأثير ، النقد الأدبي للشعر الجاهلي احمد حسن الزيات بين البلاغة، والنقد ، دراسات أدبية ، نظرات أدبية (4 أجزاء)، حديث القلم ، قطرات المداد ، التفسير القرآني .

*** إبداع أدبي :**

– دواوين الشعر: من نبع القران، حصاد الدمع، صدى الأيام، حنين الليالي.

– مسرحيات شعرية: خاتمة الانتصار، فوق الأبوة، وبأي ذنب، ملك غسان.

– كتب تاريخية : الأزهر بين السياسة، وحرية الفكر، مواقف خالدة لعلماء الإسلام، النهضة الإسلامية في سير أعمالها (معاصرين ، ابن حنبل مع الأبطال ، صفحات هادفة من التاريخ الإسلامي ، من القصص الإسلامي .

– مجموعة قصص الأطفال : في أجزاء متوالية : المغامرة الشجاع ، المهمة العاطفية ، مؤتمر فاشلة ، الفارس الوفي ، يوم المجد ، دجال القرية ، الحبل الأسود ، الفتاة المثالية إلى الأندلس ، رحلة الخير ، الله معي ، بطل شيبان ، إلى الإسلام لست وحدي ، حكمة الله ، الأصل الطيب.... غيرها .

الجوائز الأدبية :

1- جائزة شوقي ضيف بالمجلس الأعلى للفنون والأدب بمصر سنة 1961م عن مسرحية الشعرية " انتصار " .

2- جائزة مجمع اللغة العربية الأولى ، عن مسرحية الشعرية " فوق الأبوة " سنة 1962 م .

3- جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1963م عن ديوانه الشعري " صدى الأيام " .

4- جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الأولى سنة 1964م في الدراسات الأدبية عن كتاب " الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير " .

5- جائزة مجمع اللغة العربية سنة 1965، في التراجم الأدبية عن حياة " محمد توفيق البكري " .

6- جائزة مجمع اللغة العربية سنة 1972 م عن المسرحية الشعرية " بأي ذنب "

7- جائزة وزارة التربية والتعليم سنة 1958 عن المسرحية الشعرية " ملك غسان " .

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- الأسعد عمر ، ديوان رثاء الأزواج ، ط1 ، بيروت ، دار سبيل الرشد ، دت.

2- الأنصاري ، مسلم بن الوليد ، شرح ديوان صريح الغواني ، تحقيق سامي الدهان ، ط2، دار المعارف، مصر ، 1970.

3- البحتري ، أبو عبادة الوليدين عبد الظائي ، ديوان البحتري ، ط3 ، دار المعارف ، مصر ، د ت.

4- الجبور يحي ، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، ط3 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، د ت .

5- سعيد علوش ، النقد الموضوعاتي ، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع ، الرباط ط1 ،1989.

ط2، دار الجبل ، بيروت،1981 .

6- عبد الرحمان صدقي ، من وحي المرأة ، د ط ، القاهرة ، دت.

7- عبد الكريم حسن ، المنهج الموضوعاتي النظرية والتطبيق ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ط1/ 1983.

8- عبد الكريم حسن، الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السياب، ط1، المؤسسة الجامعية بيروت، 1983.

9- عزيز أباظة ، أنات حائرة ، ط3 ، القاهرة ، مصر ، مطبعة مصر ، د ت.

10- الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة، ديوان الفرزدق ، دار صادر، بيروت د ط، ،ج1، دت.

11- فروخ عمر ، تاريخ الأدب العربي ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت، 1984.

12- القيراوني، أبو على الحسن الأزدي، العدد في محاسن الشعر وآدابه ونقده تحقيق محي الدين عبد

13- الحميد محمد رجب البيومي ، حصاد الدمع ، د ط ، القاهرة ، مصر ، مطبعة دار العالم العربي ، 1979.

14- محمود سامي البارودي ، ديوان رئيس الوزراء ، محمود سامي البارودي على المقصود عبد الرحيم، ط1 ، بيروت ، لبنان ، دار الجيل، 1995 .

15- مصطفي بيومي، دوائر الاختلاف ، قراءات التراث النقدي، د ط، دار فرحة للنشر والتوزيع ، مصر 1981.

16- نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ط2، بيروت لبنان، منشورات نزار قباني، 1998.

المجلات:

1- صورة المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ، أحمد عمران ، محمد أبو خليل، مجلة القسم العربي ، جامعة بنجاب لاهور ب باكسان ، العدد 10 ، 2011 .

2- عبد الكريم حسن، نقد المنهج الموضوعي، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت لبنان، العددان 44-45 ،دت .

المواقع الالكترونية :

1-محمد بلوحي، النقد الموضوعاتي الأسس والمفاهيم منتديات الدرر:

http://www.dorarr.ws/forum.archive/index.php/t12535html.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	أ– ب
المدخل: المنهج الموضوعاتي	
أولا: آلياته و مقولته	3
ثانيا: طرائقه التحليلية	5
الفصل الأول: خصائص رثاء الزوجة في الشعر العربي قديمه و حديثه.....	
أولا : خصائص رثاء الزوجة في الشعر العربي القديم	9
ثانيا : خصائص رثاء الزوجة في الشعر العربي الحديث.....	16
الفصل الثاني : ما هي خواص رثاء الزوجة في الشعر العربي المعاصر؟.....	
أولا : خواص رثاء الزوجة في الشعر العربي المعاصر.....	21
ثانيا : موضوعات ديوان حصاد الدمع	23
1 – الفقد و اللوعة.....	23
2 – نبأ الرحيل.....	25
3 – معناة أب.....	28
4 – الذكرى.....	31
5 – صفات المرثية.....	33
6 – مرض الزوجة.....	34
7 – زيارة القبر.....	36
8 – العتاب واللوم.....	38
9 – حال الشاعربعد الفراق.....	39
الخاتمة.....	42
الملحق.....	44
قائمة المراجع و المصادر.....	35
الفهرس.....	49